مفهوم الأدب الإسلامي عند العرب وأثره في كتابات الأدباء في أرخبيل الملايو

عارف كرخي أبو خضيري

كلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية – جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية – دار السلام – بروناي.

المُلخّص

برزت فكرة الأدب الإسلامي في الخمسينات من القرن الماضي، وشُغل بها عدد من النقاد والأدباء والمفكرين العرب وعلى رأسهم سيد قطب وعبد الرحمن رأفت الباشا ونجيب الكيلاني. وفي العقد السادس من القرن نفسه تلقّف الملايو الفكرة عن العرب، وتدارسوها فيما بينهم. وفي الثمانينات والتسعينات دارت حول مفهوم الأدب الإسلامي في أرخبيل الملايو مناقشات وحوارات شتى، كما أُلفت حوله كتب وبحوث ومقالات عدّة أعدّها أدباء وعلماء ومفكرون من أمثال بدر الدين إتش أو ويوسف زكي يعقوب وشافعي أبي بكر وإسماعيل حامد وعثمان المحمدي وعثمان كلنتان ومحمد أفندي حسن في سعي جاد للتوصّل إلى نظرية نقدية جديدة يستعينون بها في الدعوة للأدب الإسلامي من ناحية، وتقييم هذا الأدب ونقده من ناحية أخرى. ويتناول هذا البحث نشأة فكرة الأدب الإسلامي عند العرب، ويتتبع تطوّرها عند أدباء الملايو، ويبيّن تأثّر الأدباء الملايويين بالأدباء العرب في تصوّرهم للأدب الإسلامي، كتأثر شهنون أحمد بسيد قطب، ومحمد كمال حسن بمحمد قطب، ومحمد بخاري لوبيس بإسماعيل الفاروقي، ويحدّد ما أخذه الأدباء الملايويون من الأدباء العرب، وما تميّزوا به عنهم.

الكلمات المفتاحية: الأدب – مفهوم الأدب – الأدب الإسلامي – تطوّر – تأثير – تأثّر.

مُقَدِّمَةٌ

ارتبطت الدعوة إلى الأدب الإسلامي في الخمسينات من القرن الماضي في العالم العربي بظهور حركة التغريب التي اجتاحت البلاد العربية أولاً، ثم بالصحوة الإسلامية التي ظهرت كرد فعل لها ثانيًا. وكذلك ارتبطت الدعوة إلى الأدب الإسلامي في أرخبيل الملايو بهاتين الحركتين، كما ارتبطت ببعض العوامل الداخلية كالتطور الاقتصادي السريع في ماليزيا ومنطقة الآسيان، وحركة الدعوة gerakan dakwah، وتاسيس مؤسسة GAPENA (١٩٧٠م)، وتأسيس العديد من المؤسسات التعليمية العليا (رحمت/٢٠٠٨). وهناك عامل آخر، من وجهة نظري، ساعد على ظهور الدعوة الأدب الإسلامي في الأرخبيل، وهو تأثر الكتاب الملايويين بأفكار المفكرين والكتّاب العرب في مصر من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا وحسن البنا وقاسم أمين وسيد قطب ومحمد قطب وعماد الدين خليل ونجيب الكيلاني، وبالكتاب العرب في الولايات المتحدة الأمريكية كإسماعيل الفاروقي. هذا فضلاً عن تأثرهم بكتابات المفكرين والأدباء في مناطق أخرى من العالم الإسلامي كباكستان وتركيا من أمثال محمد إقبال

البريد الالكتروني: arif@unissa.edu.bn ردمد: ٦٩٠٥-١٦٥٨

وعلي نار وأبي الحسن الندوي. وسوف أتناول في هذا البحث مفهوم الأدب الإسلامي، وأعرض لتعريفاته عند العرب المحدثين، ثم لتعريفاته عند الأدباء الملايويين، ثم أنتقل أخيرًا إلى تبيين أثر الأدباء العرب في الأدباء الملايويين في تناولهم لقضية الأدب الإسلامي في العقود الخمسة الأخيرة من القرن العشرين.

(١) مفهوم الأدب الإسلامي عند العرب:

لعل أبسط تعريفات الأدب الإسلامي وأهمها عند العرب، هو تعريف سيد قطب الذي يحدد فيه الأدب الإسلامي بأنه "التعبير الناشيء عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية" (سيد قطب/٢٠٠٦) ونشر سيد قطب تعريفه هذا في الخمسينات من القرن الماضي فكان رأيًا جديدًا في وقت كان فيه النقاد والأدباء يفصلون بين الأدب بصفة خاصة والفن بصفة عامة وبين الدين، ودعا إلى ضرورة أن يكون للأديب أو الفنان تصوّر خاص به تجاه الحياة ينعكس في فنه وإبداعه، واقترح أن يكون هذا التصوّر إسلاميًا شاملاً لعلاقة الإنسان بالله والبشر والوجود. وكانت الساحة الأدبية وقتئذ تشيع فيها فكرة الفن للفن Art For Art's Sake والتي كان يروّج لها إدجار ألن بو Edgar Allan Poe وتيوفيل جوتييه Theophile Gautier ومالارميه Stephene Mallarme وأشياعهم من الشعراء، والتي تنكر أن يكون للأدب هدف غير الفن، وأن العمل الفني لا يقول شيئًا بل يوجد لكي يقدر في ذاته ولذاته، وليس لأي غرض آخر (نبيل راغب/٢٠٠٣) وكان إلى جانب هذا المذهب مذهب آخر هو المذهب الواقعي Realism أو الاجتماعي أو الماركسي الذي صاغه مكسيم جوركي وربطه بهدف مادي هو إصلاح المجتمع وتبني مذهب الحزب الحاكم وأيديولوجيته السياسية (نبيل راغب/ ٢٠٠٣). وقد عاب سيد قطب على هذا المذهب الدعوة إلى انحصار الأدب في قضايا اجتماعية محدودة الآفاق، وتصوير صراع الطبقات والتركيز على "رجل الشارع" أكثر من غيره (سيد قطب/٢٠٠٥). ويلاحظ على تعريف سيد قطب للأدب الإسلامي سالف الذكر التركيز على المشاعر التي تمثل الصدق في الأعمال الفنية، وربط الجانب الفني الشكلي "التعبير" بمحتوى صادق وأصيل "مشاعر"، كما يلاحظ أيضًا تحديد نوعية هذه المشاعر "إسلامية"، وبعبارة أخرى يبدو في التعريف الاهتمام بمحتوى الأدب والحكم عليه طبقا للتصور الإسلامي.

وأعجب الدارسون العرب بهذا التعريف واحتفلوا به وتناولوه بالتحوير والتفصيل والتطوير، وجاءوا بتعاريف كثيرة، كتعريف محمد قطب بأن الأدب الإسلامي هو "التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام" (محمد قطب/١٩٨٠) وقد كان لهذا التعريف، كما سنرى بعد قليل، أثر كبير في كتابات الأدباء الملايويين. وليس من همّنا هنا أن نعرض لكل التعريفات التي قدّمها العرب في هذا الموضوع، فثمة تعريفات كثيرة لعبد الرحمن رأفت الباشا وعماد الدين خليل والطاهر محمد علي ومحمد حسن بريغش وحسين مجيب المصري وغيرهم، ولكننا سنكتفي بذكر ثلاثة تعريفات أولها لعباس محمود العقاد ويقول فيه إن "الأدب الإسلامي كتابة أدبية تصوّر المفهوم الإسلامي وقيمة الحياة وترشد القارئ إلى تطوير الحضارة الإنسانية والثقافة" (رحمت/٢٠٠٥)، وهو علاوة على تحديده لعناصر الأدب الإسلامي يشير إلى هدفه ويربطه بتطور

الحضارة الإنسانية. والتعريف الثاني لمحمد مصطفى هدارة ويقول فيه إن "الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يعبّر عن النظرة الإسلامية الشاملة للكون والوجود، فلا يتصادم معها أو يخالفها في أي جزئية من جزئياتها ودقائقها" (عبدالكافي/١٩٩٧) وهو يضيف إلى التصور الإسلامي صفة الشمول، ويؤكد على ضرورة مطابقة الكتابات الأدبية لنظرة الإسلام للوجود مطابقة كاملة. وهو يتخذ موقفا متشددا يختلف عن الموقف المرن الذي يتخذه محمد قطب من العرب، ومحمد كمال حسن من الماليزيين كما سنرى بعد قليل. والتعريف الثالث لنجيب الكيلاني ويحدد فيه الأدب الإسلامي بأنه الأدب الذي "ينظر إلى الكون ومفرداته، أو إلى الحياة وحركتها، وإلى المخلوقات وصراعاتها، نظرة يحكمها التصور الإسلامي، والالتزام العقائدي، ويحلل بصدق همسات النفس، وأشواق الروح، وتفاعل الفكر، وتوهجات السمو الإنساني، وتدنيات اليأس والألم والحيرة، وينتصر لقيم الخير والحق والجمال، في الإطار الفني الناجح، وفي نسيج من الصدق، ويجعل من الفن والالتزام كيانًا واحدًا، لا انفصام فيه ولا تمزق أو تضاد" (الكيلاني/ ١٩٨٤) وهو كما نرى، تعريف ذو طابع أدبي، يوسّع فيه الكاتب ويطيل، ويضيف إليه عنصر الالتزام – كما يصنع كمال حسن من الماليزيين–ويجعله جزءا لا يتجزأ من الأدب الإسلامي. وكلّ هذه التعاريف تنطلق من تعريف سيد قطب وتشترك في التركيز على عنصرين أساسين في الأدب الإسلامي وهما الأدبية أو الأدب، والتصوّر الإسلامي.

والأدب من منظور سيد قطب تعبير عن ترجمة شعورية في صورة موحية، ومن ثم فإن وظيفة التعبير فيه –أو ما يسميه القيم التعبيرية عن التجارب الشعورية– لا تقف عند حدّ الدلالة المعنوية للألفاظ، بل تضاف إلى هذه الدلالة مؤثرات أخرى، يكمل بها العمل الأدبي، وهي الإيقاع الموسيقي للكلمات، والعبارات والصور، والظلال التي يشعّها اللفظ، وتشعّها العبارات زائدة على المعنى الذهني، ثم طريقة تناول الموضوع والسير فيه (سيد قطب/ النقد الأدبي). والأدب يشمل عنده الشّعر والقصة والمسرحية والرواية والخاطرة والمقالة والبحث والتراجم، بل إنه أدخل التاريخ في دائرة الأدب، وجعل الترجمة عملاً أدبيًا وتحمس لها، وهي تعني في مفهومه أن يقوم الكاتب بتناول سير الآخرين. وهكذا يتوسع سيد قطب في تعريف الأدب، ويعتمد في مفهومه على مقياس هو منحى التناول الأدبي بصرف النظر عن الموضوع، أو التخصص العلمي (البدوي/ ١٩٩٢) وهو في الوقت نفسه لا يغفل المقومات الجوهرية للفن الأدبي فيقول: "ليست الخطب الوعظية هي سبيل الأدب أو الفن المنبثق من التصوّر الإسلامي، فهذه وسيلة بدائية وليست عملاً فنيًا بطبيعة الحال" (البدوي/ ١٩٩٢). وقد أكّد محمد قطب على عنصر الفن فقال: "والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام وهو على وجه اليقين ليس الوعظ المباشر والحث على اتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صورة فلسفية. فليس هذا أو ذاك فنًا على الإطلاق! إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصوّر الإسلامي لهذا الوجود" (محمد قطب/ ١٩٨٠) وينطبق كلام محمد قطب عن الفن على الأدب بطبيعة الحال بوصف الأدب فرعًا من فروع الفن.

أما التصوّر الإسلامي فيبدأ من الحقيقة الإلهية التي

يصدر عنها الوجود كلّه، ثم يسير مع هذا الوجود في كلّ صوره وأشكاله وكائناته وموجوداته، ويعني عناية خاصة بالإنسان –خليفة الله في الأرض– فيعطيه مساحة واسعة من الصورة، ثم يعود بالوجود كلّه مرة أخرى إلى الحقيقة الإلهية التي صدر عنها وإليها يعود" (محمد قطب/١٩٨٠). ويرى بعض الباحثين أن التصوّر الإسلامي ليس فلسفة ولا رؤية، ولا موقفًا شموليًا إزاء الكون، ولا نظرية من النظريات، ولا أفكارًا تقرأ في مجال الفكر والثقافة فقط، وإنما هو منهج حياة يمارسه الأديب في واقع فكره ونفسه وسلوكه، وفي معاشه كلّه، في خاصة شأنه، وداخل أسرته ومجتمعه، وفي كل نشاطاته؛ لأنه يوقن بأنه يحاسب على كلّ شيئ: من النية، للخاطرة، للعمل العظيم" (بريغش/١٩٩٢). وهو بذلك يربط الفكر بالعمل، أو بعبارة أخرى، يربط الأدب بالأديب وبعقيدته وديانته، كما يصنع أغلب الأدباء الماليزيين باستثناء قليل منهم ومن أشهرهم الشاعر بها زين كما سنرى. ومما تقدّم يتضح لنا أن الأدباء العرب -في تعريفاتهم للأدب الإسلامي- يحتفلون بالشكل احتفالهم بالمحتوى، ويربطون بينهما ربطًا محكمًا، بل إنهم يعنون بالخصائص الفنية -الشعورية والتعبيرية- عناية بالغة أدت بهم إلى إخراج بعض الأشكال التعبيرية التقليدية كالخطب الوعظية والمواعظ من دائرة الأدب لافتقارها إلى مقومات البلاغة والفن والجمال.

(٢) مفهوم الأدب الإسلامي عند الملايويين:

وإذا تركنا الأدباء العرب وانتقلنا إلى الأدباء في أرخبيل الملايو، وجدنا الكتّاب الملايويين يطرحون –مثلهم– تعريفات عديدة للأدب الإسلامي. وحين نردد النظر فيها نجدها تنحو مناحي عديدة متباينة تمكّنا من حصرها في أربعة اتجاهات متميزة وهي: الاتجاه الاتباعي، والاتجاه الديني، والاتجاه العالمي، والاتجاه الفني (رحمت/٢٠٠٥).

الاتجاه الأول ينحو نحو الأدباء العرب ويصوغ تعريفات تعكس تعريفات الأدباء المصريين ولاسيما محمد قطب وتعريفه المعروف. وأول هذه التعاريف تعريف بدرالدين إتش أو Badaruddin H.O. للأدب الإسلامي بأنه " إعلان جميل عن الوجود والخلق والحياة والإنسانية، من خلال نظرة إسلامية". وثانيها تعريف يوسف زكي يعقوب Yusuf Zaki Yaakobبأنه "أدب يصوّر النظرة والقيم الإسلامية في الحياة ". وثالثها تعريف بها زين Bahaa Zain بأنه "الأدب المنسجم مع القيم الإسلامية بغض النظر عن إيمان ودين كاتبه". وواضح أن التعاريف الثلاثة تعدّ تأكيدا لنظرة محمد قطب حول الفن والأدب الإسلامي التي أشرنا إليها من قبل، إلا أن التعريف الثالث، وإن اتفق في شطره الأول مع أغلبية المفكرين الماليزيين، فإنه يعارضهم –كما أشرنا من قبل– في شطره الأخير.

الاتجاه الثاني، وهو الأغلب، ينحو منحى دينيا أخلاقيا كما نرى في تعريف رحمن مات Rahmanmat أن الأدب الإسلامي "أدب يصوّر الطقوس والشعائر الدينية"، وتعريفه لا يحدد الأدب الإسلامي تحديدا جامعا مانعا، كما يقول المناطقة، كما أنه ليس في صالح هذا الأدب، ولا يعبر عن مكانته ومستواه والأمل المرجوّ منه. ومن التعاريف ذات الطابع الديني تعريف إسماعيل إبراهيم Ismail Ibrahim بأنه "كتابة أدبية مبنية على فلسفة التوحيد"، وتعريف بوديمان راضي Budiman Radzi بأنه "فن يبتغى به التّقوى"، وتعريف مانا سكانا Mana Sikana بأنه "أدب العبادة"

Sastera Pengabdian وهو مكرّس لعبادة الله عز وجل، ويعكس حياة التقوى التي تركّز على الفضيلة في أفعال الأمة طبقا لما في القرآن الكريم والسّنة النبوية، وهو تعبير عن الحياة اليومية للفرد المسلم والمجتمع، الغرض من صنعه وإبداعه الحصول على بركات الله عز وجل، كما يهدف إلى تفسير الحياة وإعطاء معنى لها "، وهو تعريف قريب، نوعا ما، من أشهر تعريفات الأدب الإسلامي في ماليزيا وأكثرها إثارة للجدل، وهو تعريف شهنون أحمد Shahnon Ahmad الروائي الماليزي المعروف، والذي يرى أن الأدب الإسلامي هو "الأدب الذي أنتج باسم الله عز وجل ولخير البشرية جمعاء". وهو ينظر إلى النشاط الأدبي على أنه عبادة لا تختلف عن الصلاة وغيرها من العبادات (رحمت/٢٠٠٥). بيد أن تعريف شهنون أحمد، رغم شهرته، لقي معارضة شديدة من بعض المفكرين الماليزيين كقاسم أحمد Kassim Ahmad الذي وصفه بالغموض (رحمت/٢٠٠٥)، ورحمن مات Rahmanmat الذي أنكر اعتبار الكتابة لونا من ألوان العبادة، ورأى أن الفعل التعبدي والكتابة شيئان منفصلان، فبينما العبادة هي فعل مكرّس على نحو صارم لله عزّ وجلّ، فإن الأدب بالمقابل أمر ينتجه الإنسان لمتعة الناس (رحمت/٢٠٠٥)، وهو نقد يفرق بين المخاطب أو من يوجّه إليه كلّ من النشاطين، كما يدل على فهم مختلف للهدف من الأدب، لا على أنه يحمل غرضا دينيا كما يرى شهنون أحمد، بل على أنه مجرد تسلية ومتعة لا أكثر ولا أقل. ونقد رحمن مات يظل مجرد وجهة نظر بالطبع. وربما يفسر تعريف شهنون أحمد على أن الأديب يكتب للناس لفائدتهم وإرشادهم إلى الحق والخير طلبا لمرضاة الله وابتغاء ثوابه ومغفرته. ومن ثم تعد كتابته –أو نشاطه الأدبي– عبادة، لأنه يتقرّب بها إلى الله عزّ وجلّ كما يتقرّب منه بالصلاة وغيرها من العبادات.

الاتجاه الثالث، وهو الأقل، ينحو منحى إنسانيا عالميا، ونمثل له بتعريف محمد كمال حسن Muhammad Kamal Hassan الذي أطلق على الأدب الإسلامي مصطلحا جديدا هو Litterature Engagee ويقصد بذلك أنه "أدب ملتزم بالفكرة الإسلامية ورؤيتها للواقع، ويعمل على إحياء وتنمية الدولة طبقا للنظرة العالمية الإسلامية" (رحمت/٢٠٠٥). وقد لاحظت بعض الباحثات الماليزيات أن محمد كمال حسن يستخدم مصطلحا يرتبط في الأصل بالمذهب الماركسي (رحمت/٢٠٠٥). ونلاحظ نحن بدورنا ربطه للأدب الإسلامي بهدف "العمل على إحياء وتنمية الدولة"، وهو هدف نبيل ولا شك، إلا أن ربطه بـ"الدولة" "قد يوقع الأدباء الإسلاميين فيما تورط فيه أدباء الواقعية الاشتراكية من الالتزام بالمذهبية السياسية والحزب الحاكم. ولعله لو استخدم لفظة "البشرية" بدل "الدولة"، لارتقى الأدب الإسلامي إلى آفاق الإنسانية بأسرها وهو ما يتفق مع "النظرة العالمية الإسلامية". إلا أنه على الرغم من هذا وذاك، فإن هذا التعريف ذو قيمة عالية تتمثل في تنبه هذا الناقد النابه إلى ضرورة صدور الأدب الإسلامي عن "النظرة العالمية".

أما الاتجاه الرابع والأخير في تعريفات الأدباء الملايويين للأدب الإسلامي، فينحو منحى أدبيا فنيا، ونمثّل له هنا بتعريفين متميّزين، أولهما لقاسم أحمد، والثاني لشافعي أبي بكر Shafie Abu Bakar.

أما قاسم أحمد، فيعرّف الأدب الإسلامي بأنه "الفن

الذي خلقه الإنسان لاستخدام الإنسان عن طريق استعماله لغة تحتوي على الجمال والحق والفضيلة طبقا للمعايير الجمالية الإسلامية" (رحمت/٢٠٠٥)، وهو تعريف دقيق، لا يرتكز على جزئية دينية بعينها، أو ملمح من الملامح الشكلية، أو قيمة من القيم الأخلاقية، كما نرى في عديد من التعاريف الأخرى. كما أنه يتنبه، لا إلى "جماليات اللغة" فحس، بل إلى وجوب ارتكان الأدب الإسلامي إلى "معايير جمالية إسلامية"، وهي معايير فنية لم تتضمنها، في الغالب، التعاريف الأخرى، وتفتقر إليها الكتابات الإسلامية المعاصرة. أما شافعي أبوبكر، فيعرف الأدب الإسلامي بأنه "النتاج الإبداعي لكاتب إسلامي من خلال استخدامه لأكثر التعابير جمالا في أكثر الأشكال فنية واجتمعت فيه عناصر ومظاهر الأدب الإنسانية والروحانية والعالمية والفنية" (رحمت/٢٠٠٥)، وهو، من وجهة نظري، أشمل تعريفات الأدب الإسلامي وأدقها، لا لتركيزه على جماليات التعبير فحسب، بل ولوقوفه عند "الأشكال الفنية"، علاوة على تفصيله لمضامين الأدب الإسلامي الروحانية والعالمية فضلا عن الإنسانية.

وفضلاً عما لاحظناه هنا من تأثّر الأدباء الملايويين بتعاريف الأدباء العرب للأدب الإسلامي، يلاحظ أيضا أن الأدب الإسلامي أدب جيّد ونافع للمجتمع الملايوي المسلم. وكذلك يلاحظ اختلاف هذه التعريفات الملايوية عن تعريفات العرب، فلم يتم التركيز بصورة كبيرة على أهمية التصوّر الإسلامي في الأدب، بل تم التركيز على وظيفة الأدب الإسلامي، كما في تعريف محمد كمال حسن litterature engage (الأدب الملتزم) وإسماعيل إبراهيم sastera tauhid (الأدب التوحيدي)، فهذه التعريفات اهتمت ببيان أن الأدب فعل تعبدي (رحمت/٢٠٠٥) يبتغى منه رضا الله عزّ وجلّ وخير البشر أجمعين.

(٣) الأثر العربي في كتابات الملايويين:

تسربت التأثيرات العربية في كتابات الأدباء الملايويين من طرق عديدة منها اطلاع الأدباء الملايويين على الآثار العربية في لغتها الأصلية ومن ضمنها أعمال سيد قطب كالنقد الأدبي ومهمة الشاعر في الحياة وفي التاريخ فكرة ومنهاج وكتب وشخصيات والتصوير الفني في القرآن وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته ومشاهد القيامة في القرآن وكذلك تفسيره في ظلال القرآن، وأعمال شقيقه محمد قطب وخاصة كتابه منهج الفن الإسلامي. ومن هؤلاء الأدباء الملايويين من درس اللغة العربية وآدابها وعلومها دراسة أكاديمية متعمقة في الأزهر الشريف بمصر أوفي الأرخبيل كإسماعيل إبراهيم وبدر الدين إتش أو وإسماعيل أبي بكر ومحمد كمال حسن ومحمد بخاري لوبيس. وتأتي الترجمة كطريق آخر أوسع من الطريق الأول، إذ ترجمت أعمال سيد قطب ومحمد قطب وطبعت في إندونيسيا وماليزيا منذ سنوات طويلة. ولم يقتصر الملايويون على ترجمة الكتب، بل قاموا بترجمة المقالات والبحوث والرسائل للمفكرين العرب ونشرت في مجلة ديان، ومجلة بعاسوه، ومجلة قلم وغيرها (رحمت/٢٠٠٥)، كما جمع بعضها في كتب كما صنع محمد بخاري لوبيس الذي ترجم بعض مقالات وبحوث إسماعيل الفاروقي الإنجليزية إلى الماليزية ونشرها في بعض كتبه. وحين نطالع كتابات الملايويين عن الأدب الإسلامي نعثر على آثار كثيرة للأدباء العرب كحسن البنا وأنور الجندي وشوقي ضيف وزكي مبارك وعماد

الدين خليل ونجيب الكيلاني وحسن حنفي ويوسف القرضاوي ومصطفى محمود، كما نجد تأثيرات لعدد من الأدباء والباحثين العرب الذين كتبوا باللغة الإنجليزية ومن أهمهم إسماعيل الفاروقي.

ونلاحظ أيضًا أن تأثير سيد قطب في كتابات الملايويين عن الأدب الإسلامي أقلّ مما يتوقع، ونرى هذا التأثير في كتابات عدد منهم كأحمد كمال عبد الله (كيمالا) وأفندي حسن ومانا سكانا وشهنون أحمد وشافعي أبي بكر وإسماعيل إبراهيم ومحمد كمال حسن. وسأكتفي هنا بالإشارة إلى بعض تأثيرات سيد قطب في كتابات ثلاثة من هؤلاء الكتاب، ومن ذلك رأي أحمد كمال عبد الله في اعتبار الكتابات الشعرية فعلاً تعبديًا، ورأي مانا سكانا في أن الأدب الإسلامي أدب العبادة، ورأي شهنون أحمد في أن الأدب الإسلامي شكل من أشكال العبادة التي يراد بها وجه الله ويثيب الله عليها. وأغلب الظن أن نظر هؤلاء الأدباء الثلاثة إلى النشاط الأدبي بوصفه لونًا من ألوان العبادة هو من الرأي الذي ذهب إليه سيد قطب في كتابه "في التاريخ فكرة ومنهاج" والذي يقول فيه: "التعبير الفني لا يخرج عن كونه تعبيرًا عن النفس كتعبيرها بالصلاة أو السلوك في واقع الحياة" (سيد قطب/٢٠٠٥)، ثم فصّله في موضع آخر من كتابه فقال: "حين يتم التكيّف الشعوري في النفس البشرية بالتصوّر الإسلامي الإبداعي للحياة، فإن أثر هذا التكيّف يبدو في كل ما يصدر عن هذه النفس، لا على وجه الإلزام والإرغام، ولكن على وجه التعبير الذاتي عن حقيقة هذه النفس، ويستوي في هذا التعبير أن يكون صلاة في المحراب أو سلوكًا مع الناس، أو عملاً فنيًا وجهته تصوّر الجمال وتصوير الحياة بما فيها من القبح والجمال" (سيد قطب/٢٠٠٥). ومن ذلك أيضًا دعوة أحمد كمال عبد الله إلى الرجوع إلى تعاليم الإسلام وتقاليده لحلّ كافة القضايا في الأدب والثقافة الملايوية". وقد تردّ دعوته هذه إلى قول سيد قطب في كتابه في التاريخ فكرة ومنهاج: "يومًا بعد يوم يتبين أن هنالك طريقًا معينًا للشعوب الإسلامية كلها في هذه الأرض، يمكن أن يؤدي بها إلى العزة القومية، وإلى العدالة الاجتماعية، وإلى التخلص من عقابيل الاستعمار والطغيان والفساد.. طريقًا وحيدًا لا ثاني له، ولا شك فيه ولا مناص منه.. طريق الإسلام، طريق التكتّل على أساسه" (سيد قطب/٢٠٠٥). ومنها أيضًا رأي محمد كمال حسن في أهمية المحافظة على القيم الفنية وأن لا يطغى عليها التركيز على القيم الإسلامية، فهو رأي يردّ إلى رأي سيد قطب في أن "لا يؤثر الأدب الإسلامي المضمون بل لا بد له من مقومات الفن، فهو مزاج من عنصرين التصوير الإسلامي، والمكونات الفنية الجوهرية في تركيبه الداخلي وطرق أدائه" (البدوي/١٩٩٢). ومنها رأي شافعي أبي بكر في أن "تصوّر الأديب الإسلامي لقضايا العالم سيوجهه نحو الطريقة الإسلامية في التفكير والكتابة" (رحمت/٢٠٠٥)، إذ يخيّل إلينا أنه يردّ إلى قول سيد قطب في كتابه "في التاريخ فكرة ومنهاج": "تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة هو وحده سيلهمها صورًا من الفنون غير التي يلهمها إياها التصور المادي أو أي تصور آخر" (سيد قطب/٢٠٠٥).

بيد أن تأثيرات محمد قطب تزيد كثيرًا عن تأثيرات أخيه، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن آراء سيد قطب في الأدب الإسلامي لم تجمع في كتاب بعينه من كتبه،

وإنما تناثرت في عدد من مؤلفاته وعلى رأسها مهمة الشاعر في الحياة والنقد الأدبي وكتب وشخصيات وفي التاريخ فكرة ومنهاج، كما أن الاهتمام بأعماله كان – ولا يزال– مركزًا على معالم في الطريق والتصوّر الإسلامي ومقوماته وفي ظلال القرآن الذي ترجم إلى اللغة الملايوية خمس مرات. وهذا يدل على أن المثقفين الملايويين اهتموا بفكر سيد قطب الديني والسياسي أكثر من آرائه الأدبيه والنقدية. أما محمد قطب فقد خصص للأدب —والفن– كتابه "منهج الفن الإسلامي"، وجمع فيه آراء شقيقه سيد قطب في الأدب الإسلامي والتي تناثرت في مقالاته وكتبه وأضاف إليها آراءه الشخصية ونظمها كلها تنظيمًا دقيقًا شيّقًا واستعرض الخطوط العريضة لهذا الفن ليوضح سمات الفن الإنساني الرفيع، لعل المسلمين أن يفيئوا إلى كنزهم الضخم الذي أهملوه، فيجدوا أن في مكنتهم أن يتقدموا القافلة. كذلك وضع محمد قطب قواعد لنقد الإبداعات الأدبية وذلك بمعرفة صورة الكون في حس كل فنان قبل تقويم إنتاجه الفني ويكون من أصلح المقاييس في هذا التقويم التعرف على المساحة التي يشغلها الكون في نفسه. فمكان الفنان والفن يتحدد بمدى المساحة التي تشملها الحقيقة التي يشير إليها العمل الفني أو يرمز لها من كيان الوجود. كما أظهر أن الفن الذي يمكن أن ينبثق عن التصوّر الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو أرفع فن تستطيع أن تنتجه البشرية. إلى جانب ذلك، بسط محمد قطب في كتابه طبيعة التصوّر الإسلامي، ليبين كيف يمكن أن يتملاها حس الفنان الملهم البصير. وعلاوة على ذلك، بيّن محمد قطب حقيقة الفن الإسلامي والمجالات التي يعمل فيها، والرقعة التي يطل عليها من صفحة الوجود، وأوضح أن الفن الإسلامي في حاجة شديدة لأن يراجع القرآن، فهو الذخيرة الموحية لهذا الفن، كما هو الذخيرة الموحية للحياة.

ولعله لهذا السبب الذي ذكرناه ركّز الملايويون – كغيرهم– على هذا الكتاب، وتأثروا به تأثرًا ضخمًا إذ أننا نعثر على تأثيرات كثيرة جدًا لمحمد قطب في كتابات أحمد كمال عبد الله وشهنون أحمد وشافعي أبي بكر ومحمد بخاري لوبيس وبدر الدين إيتش أو ويوسف زكي يعقوب وإسماعيل إبراهيم ومانا سكانا ومحمد كمال حسن وأفندي حسن وغيرهم. وفي بعض الأحيان يتأثّر عدد من الكتاب برأي واحد لمحمد قطب كتأثّر أفندي حسن ومانا سكانا وأحمد كمال عبد الله وشهنون أحمد بفكرة اعتبار الأدب عبادة يتوجّه بها الأديب لله تعالى. وربما تأثّر شهنون أحمد وأفندي حسن ومانا سكانا في هذا الرأي بأحمد كمال عبد الله الذي سبقهم إليه. ومن ذلك تأثّر بدر الدين إتش أو ويوسف زكي يعقوب ومحمد كمال حسن بمحمد قطب في علاقة الدين بالأدب وضرورة عدم فصل الأدب عن الدين لأنهما ينبعان من مصدر واحد. ومن ذلك أيضًا تأثّر محمد كمال حسن ومحمد بخاري لوبس بتقسيم الأدب إلى أقسام ينسجم بعضها مع التصور الإسلامي ويتعارض معه بعضها الآخر. ولا يتسع المجال في هذا البحث الوجيز لتبيين أثر محمد قطب في كل الأدباء الملايويين، ومن ثم فسنقتصر –هنا– على الإشارة إلى تأثر خمسة فقط من الكتاب الملايويين بآرائه في كتابه "منهج الفن الإسلامي"، وهم بدر الدين إيتش أو، وأفندي حسن، وإسماعيل إبراهيم، ومحمد كمال حسن، ومحمد بخاري لوبيس.

أما بدر الدين إيتش أو، وهو شاعر وناقد بروناوي مرموق، فقد أعلن عن تأثره بمؤلف "منهج الفن الإسلامي" صراحة فقال: "في هذه المرحلة أراني أميل إلى التعريف الذي ذكره محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي... حيث إنني أقبل تعريفه وأعده مبدءًا لي" (رحمت/٢٠٠٥). والحق أن بدر الدين يعدّ أحد النقاد الملايويين الذين يحتلون مكانة عالية في أرخبيل الملايو، والذين أسهموا إسهامات مهمة في المناقشات المتعلقة بالإسلام والأدب، ولأنه من أوائل الذين تعرضوا للموضوع، فقد لخص كثيرًا من آراء محمد قطب، لا تعريفه للأدب الإسلامي فحسب والذي عبّر عنه بقوله: "فن يمثل تصورات الحياة من خلال مفهوم إسلامي، وهو إعلان جميل عن الوجود والحياة والإنسانية من خلال نظرة إسلامية (رحمت/٢٠٠٥)، وهو كما نرى صياغة جديدة لتعريف محمد قطب بأن الأدب الإسلامي "هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوّر الإسلام"، كما أورد بدر الدين كثيراً من آراء محمد قطب كوهم من يعدون الفن والأدب الإسلامي فناً يتحدث عن الإسلام فقط، وحصرهم الفن والأدب في المواضيع التعليمية، وضرورة أن يحقق الكاتب المفهوم الإسلامي في كتاباته، ووجود علاقة حميمة بين الفن والدين، وأنهما من ضرورات الحياة. كذلك عرضه لآراء محمد قطب في أن الفن والأدب الإسلامي ليسا مقيّدين أو مكبلين بأي تيار أو أيديولوجية صارمة أو غير مرنة مهملة للقيم الفنية. وإلى جانب هذا كله، أعرب عن قلقه من استغلال القضايا الجنسية في الكتابات الأدبية، ومعارضته للكتابة عن الجنس للمتعة فقط ولأجل كشف الفساد والفجور وإهمال الغاية والمغزى الأساسي للفن بصورة كاملة، ومن انغماس الأدباء الإسلاميين في تصوير ضعف البشر بحجة تصوير الواقع (رحمت/٢٠٠٥). ولذلك يمكننا القول إن بدر الدين إتش أو قد وجّه أنظار الملايويين إلى محمد قطب وآرائه في الأدب الإسلامي ومنهجه في العقد السادس من القرن الماضي.

وتأثّر أفندي حسن ببعض آراء محمد قطب، ويظهر ذلك في حديثه عن حرية الكاتب في تظليل عمله وتلطيف ألوانه كما يشاء (رحمت/٢٠٠٥). ونحن نعرف أن محمد قطب –كشقيقه سيد– أشار إلى حرية الأديب الإسلامي، ومن ذلك قوله إن الكاتب "حرّ في اختيار موضوعه، حرّ في طريقة أدائه، حرّ في اختيار النسب والأبعاد والأضواء والظلال في كل لوحة مفردة يرسمها، ما دام لا يخرج على النسب العامة التي ترسمها مفاهيم القرآن الكونية الكبيرة" (محمد قطب/١٩٨٠).

وإسماعيل إبراهيم أديب قصاص ماليزي، كما إنه أستاذ في الأدب العربي، وسنورد له هنا ثلاثة تأثرات بمحمد قطب، أولّها رأيه في أنه "لا بد أن تدور تعابير الإنسان عن الفن حول القيم الروحية العليا التي تستطيع أن تسمو بمرتبة الإنسان وروحه إلى مرتبة التقوى والإيمان والمعروف" (رحمت/٢٠٠٥). وهو رأي يطابق رأي محمد قطب في حديثه عن الجمال إذ أكد أن "عنصر الجمال عميق في هذا الوجود جداً، يتبدّى في كلّ كائناته "الجامدة" وغير الجامدة. والإنسان –خليفة الله في الأرض– مطالب أن يفتح حسه لهذا الجمال، ليلتقي أجمل ما في نفسه –وهو حاسة الجمال– بأجمل ما في الكون، وينتج من هذا اللقاء ارتقاء الإنسانية صعداً، حين تشف وتصفو، وتلتقي بالحقيقة الإلهية على هذا الاتساع الشامل، الذي يشمل كل مجالي "الجمال في

الكون والحياة" (محمد قطب/١٩٨٠). وثانيها رأيه في أن "الجمال في الأدب يتركز في جمال الحق والعدالة وهما يرجعان إلى العقيدة الصادقة[١]"، وهو رأي محمد قطب في أن الفن "هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين "الجمال" و"الحق". فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود" (محمد قطب/١٩٨٠). وثالثها رأيه في الجمال أيضا إذ يؤكد أن "الجمال بأشكاله المختلفة في الحياة يعد تجلياً للجمال الإلهي"، وهو –في رأينا– مأخوذ من حديث محمد قطب عن "عنصر الجمال" الذي أوردناه منذ قليل.

ويتأثّر محمد كمال حسن، وهو باحث يميل إلى الفلسفة والتصوف في كتاباته، بفكرة محمد قطب في ضرورة عدم فصل الأدب عن الدين؛ لأنهما ينبعان من مصدر واحد. وقد عبر محمد قطب عن التقاء الفن بالدين في المنشأ وفي المجال، وفي النفس والوجود جميعاً، فقال: "الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن. فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما مجنح لعالم الكمال وكلاهما ثورة على آلية الحياة. يلتقي الفن والعقيدة في أعماق النفس، كما يلتقيان في أعماق الوجود" (محمد قطب/١٩٨٠). ويتأثر به في آرائه في الجمال، فيقول إن "الجمال الحقيقي يتصف بالتقوى والنقاء والقوة والتناغم والاتزان والتناسب والكمال" (رحمت/٢٠٠٥)، وهو من قول محمد قطب "الفن ينبغي له وهو يعبر عن الحياة الإنسانية أن يراعي التناسق والتكامل والترابط في هذه الحياة" (محمد قطب/١٩٨٠). وفي حديثه عن الجمال، يقول محمد كمال حسن: "تماشياً مع دور الإنسان بوصفه عبداً وخليفة لله عز وجل على الأرض، فإن كل عمل أدبي وتراث ثقافي من إنتاج الإنسان يجب ألا يتناقض مع الدور الذي اختاره الله عز وجل للإنسان، وذلك كي يتم اعتبار عمله جميلاً في أعين الله عز وجل، فلا جمال في خيانة وغدر سلطان وحكم الله تعالى" (رحمت/٢٠٠٥). وهذا قول فيه إشارة إلى قول محمد قطب: "الإنسان خليفة الله في الأرض، الخليفة الذي كرمه الله وفضله، ووعّاه وعلّمه، وزوده بمختلف الطاقات. وهو بهذه الخلافة وهذا التكريم، أجدر مخلوقات الله أن يدرك الجمال في حقيقته الجوهرية التي خلقه بها الله" (محمد قطب/١٩٨٠). وفي رأيه عن قيمة الجمال، يقول محمد كمال حسن: "قيمة الجمال في التصور الإسلامي أنه يهدف إلى تصوير ما وراء نطاق الخبرة" (رحمت/٢٠٠٥)، وهو من قول محمد قطب: "الفن الإسلامي موكّل بالجمال" يتبعه في كلّ شيء وكلّ معنى في هذا الوجود. الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود الحس، ولا ينحصر في قالب محدود". ويرى محمد كمال حسن أن وصف البذاءة والأمور الجنسية مسموح به ولكن ليس بشكل يجعل الناس يستمتعون به، فالأمور الجنسية والبذيئة في الأدب الإسلامي يجب أن تكون إيحائية لا وصفية. ويتم عرض مشاهد التقبيل وما شابهها بطرق إيحائية بدل الطرق الحقيقية كما كان القرآن الكريم إيحائياً في عرضه لقصة زليخا ويوسف عليه السلام في سورة يوسف" (رحمت/٢٠٠٥)، وهذا هو ذات الرأي الذي ذهب إليه محمد قطب في قوله في موضع: "التعبير الفني يعتمد دائماً على ذخيرة نفسية وشعورية مختزنة في باطن النفس، تسعى للتعبير عن ذاتها

١– رحمت بنت أحمد، المرجع السابق، ص١٢٣.

في صورة موحية، لأن فيها شحنة مذخورة تريد الانطلاق" (محمد قطب/١٩٨٠)، وقوله في موضع آخر: "تلك قصة يوسف كاملة من قصص الهبوط الجنسي، ودفقة من دفقات العرامة الحسية التي تنسى في ساعة الشهوة الغليظة كل اعتبار، وصراحة في الوصف والتعبير.. أمانة في الوصف بلا إثارة جنسية ولا تلذيذ ولا إفساد". وعند تقسيمه للأدب الإسلامي إلى أدب ملايوي ذي روح إسلامية، وأدب غير إسلامي لا علاقة له بالإسلام بصورة واضحة، يذكر محمد كمال حسن أنه "قد توجد عناصر إسلامية وغير إسلامية في العمل الأدبي الواحد" (رحمت/٢٠٠٥)، وهي فكرة أوردها محمد قطب في فصل في الطريق إلى أدب إسلامي في "منهج الفن الإسلامي"، عند حديثه عن شعر الشاعر الفيلسوف الباكستاني محمد إقبال، فقال عنه إنه "في معظم حالاته يعبر عن تصور مسلم، وإن شاب هذا التصور أحياناً أخلاط من تصورات صوفية هندية وغير هندية، تخرج به قليلاً أو كثيراً عن التصور المستقيم للإسلام" (محمد قطب/١٩٨٠).

أما محمد بخاري لوبيس، وهو باحث في الأدب الفارسي والعربي والتركي، فضلاً عن الأدب الملايوي، كما أنه أستاذ جامعي وشاعر ومترجم، فقد صرّح، مثل بدر الدين، عن تأثره بمحمد قطب في منهجه، ومن ذلك تقسيمه للأدب الإسلامي ثلاثة أصناف: "الأدب الإسلامي الذي يؤكد على الالتزام بالنص والشخصية، والأدب الإسلامي الذي يركز على القيم الإسلامية سواء أنتجه أدباء مسلمون أم غير مسلمين، وأدب المسلمين (Sastera Muslim) ويحتوي كتابات جميع المسلمين وإن احتوت على عناصر أو قيم غير إسلامية" (رحمت/٢٠٠٥). وهذا التقسيم يساير تقسيم محمد قطب الأدب الإسلامي إلى "أدب يصدر عن فنان مسلم"، وأدب يشارك غير المسلمين فيه المسلمين، ويلتقي "التقاء جزئيا" على الأقل مع التصور الإسلامي"، وأدب هو "نتاج عالمي ضخم رائع في كثير من الأحيان –لا يلتقي بالتصور الإسلامي، ولا يسير مع المنهج الإسلامي للفنون" (محمد قطب/١٩٨٠). ويرى محمد بخاري لوبيس أن "الجماليات في الأدب والفن يمكن صياغتها من الطريقة القرآنية في التعامل مع الجماليات، ويمكن القيام بهذا من خلال ملاحظة محتوى الجمال والجماليات التي عرضها القرآن الكريم في وصفه للإنسان والكون، وملاحظة الأسلوب القرآني واستخدام الكلمات أي المضمون والأسلوب" (رحمت/٢٠٠٥). وهذه هي الفكرة التي أكدها محمد قطب في غير موضع من كتابه. يقول محمد قطب: "الفن الإسلامي في حاجة شديدة لأن يراجع القرآن؛ فهو الذخيرة الموحية لهذا الفن، كما هو الذخيرة الموحية للحياة. القرآن –أولاً– يعرض تصوّراً شاملاً للكون والحياة والإنسان، لا يعرضه كتاب آخر في الأرض بمثل هذا الشمول والإحاطة، وبمثل هذه السهولة والوضوح. وهذا التصوّر هو الذخيرة الموضوعية للفن. وهو –ثانياً– يضم نماذج من الأغراض الفنية والأداء الفني، لا تتمثل بمثل هذه الوفرة المعجزة في كتاب. ومن ثم فهو –من ناحيتيه هاتين– دستور كامل لأي منهج فني يريد أن يعبّر عن الحياة، بتصوّر إسلامي أولاً، وكذلك على مستوى كوني" (محمد قطب/١٩٨٠). وعندما يتحدث بخاري لوبيس عن الجمال يتأثّر –كما فعل محمد كمال حسن– بفكرة محمد قطب عن الجمال. يقول محمد بخاري لوبيس:

"الجمال يتصف بتقوى الله عز وجل والإيمان بالعقائد الإسلامية والنقاء والعمق والتناغم والتوازن والنظام والكمال[١]". وهذا الرأي مستلهم –من وجهة نظري– من قول محمد قطب: "الفن ينبغي له وهو يعبر عن الحياة الإنسانية أن يراعي التناسق والتكامل والترابط في هذه الحياة" (محمد قطب/١٩٨٠).

خاتمة:

على هذا النحو تأثّر الأدباء الملايويون بالأدباء العرب عندما تصدّوا لمناقشة قضية الأدب الإسلامي في العقود الخمسة الأخيرة من القرن الماضي. ولسنا نزعم، بالطبع، أن عبارات الكتاّب الملايويين تنطبق تمام الانطباق على عبارات محمد قطب وشقيقه سيد، فهذا ما لا يمكن أن يقع، لأن التأثر لا يعني النقل الحرفي للنصوص، وإنما هو هضمها ثم إعادة صياغتها مع قليل أو كثير من التغيير والتحوير. كما لا ننسى أيضاً أثر ترجمة هذه الآراء من العربية للملايوية، ثم نقلها من الملايوية للعربية وما يعتور ذلك كلّه من حذف وإضافة وتلخيص وإسهاب.

لقد تنبّه الملايويون إلى حاجتهم إلى العودة إلى الإسلام، وإلى إحياء آدابهم التي انغمست، كغيرها، في المذاهب الغربية، ولذلك اتجهوا إلى مصر ومنطقه الشرق الأوسط للبحث عن مصادر جديدة للتأليف والكتابة، وساعدهم ذلك على إبداع أعمال أدبية رائعة كروايتي Tenggelamnya Kapal Van Der Wijck (غرق السفينة) و Di Bawah Lindungan Ka'bah (تحت أستار الكعبة) لحمكا Hamka اللتين تأثّر فيهما بأعمال الأديب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي، ورواية Faridah Hanum (فريدة هانم) للشيخ السيد أحمد الهادي التي تعدّ أول رواية ماليزية بالمفهوم الحديث، وقد تأثّر فيها برواية زينب للكاتب المصري، أيضاً، محمد حسين هيكل والتي تعدّ بدورها أول رواية عربية بالمفهوم الحديث. وكما نفذ الملايويون –بتأثرهم بالعرب– إلى إبداع أجناس أدبية رائعة، استطاعوا أيضاً –بتأثّرهم بمفهوم الأدب الإسلامي للأدباء العرب– أن يصلو إلى صياغة تعاريف طريفة للأدب الإسلامي كتعريف شهنون أحمد وتعريف قاسم أحمد، كما تمكنوا من النفوذ إلى آراء جيدة كرأي علي أحمد محمد Ali Ahmad عن الجمال والذي يقول فيه إن "الجمال الخارجي لا بد أن يتطابق مع الجمال الداخلي من أجل الحصول على بركات الله عز وجل. والتوازن والتناغم بين الخارجي والداخلي وبين الشكل والمحتوى من المواضيع الرئيسية التي يتحتم وجودها كي يقبل الله عزّ وجلّ الجمال والجماليات التي يصنعها الإنسان" (رحمت/٢٠٠٥).كما تمكّن هؤلاء الأدباء أيضاً من التوصّل إلى عدد من النظريات حول الأدب الإسلامي كنظرية الدعوة ونظرية التّقوى ونظرية التوحيد ونظرية العبادة ونظرية المقدّس، وإن كان أفضلها وأدقّها –من وجهة نظري– نظرية التكملة Teori Takmilah لشافعي أبي بكر التي ضمنها تعريفاً للأدب الإسلامي اعتمد فيه على تعريف محمد قطب كما ألمحنا من قبل، وجمع فيه ثلاثة عناصر هي: فنية النص، وعقيدة الكاتب، والقيم الإسلامية. ثم مضى بعد ذلك فحدد أسس الأدب الإسلامي ومعاييره وسماته وملامح وجوده، ثم عرض لشكل الأدب الإسلامي ومضمونه وموضوعاته وبنيته وتقنياته ولغته

١– رحمت بنت أحمد، المرجع السابق، ص١٥١.

وجمالياته..إلخ، وأقام الباحث نظريته على فلسفة التوحيد، ويذهب إلى أن الأديب يسعى في كتاباته إلى تحقيق صفتي الجمال والكمال التي يتصف بهما الله تعالى، ويصل الأديب إلى الكمال في إبداعاته من خلال قيامه "بتجميل" كتاباته بإظهار كلّ عناصر الجمال في عمله، وهذا يعتبر سعياً إلى إكمال أو تكميل فن الأدب. وللتوصل إلى هذه الغاية يحرص الأديب على الإلمام بالعلوم الأدبية والنقدية وبالتراث الأدبي القديم والحديث، كما يسعى إلى جذب قرائه إلى ما يكمل الصفات الإنسانية التي يحث عليها الإسلام (لوبيس/١٩٩٧).

بيد أنه على الرغم من ذلك فإن الأدباء الملايويين يركزون حديثهم على المحتوى لا على الشكل كما نلحظ ذلك بوضوح في كتابات محمد كمال حسن ومحمد بخاري لوبيس وإسماعيل إبراهيم وبدر الدين إتش أو، ويظهر هذا التركيز على المضمون فيما أطلقوه على الأدب الإسلامي من مصطلحات كالأدب الملتزم والأدب التوحيدي والأدب المقدّس وأدب الدعوة وأدب التّقوى..إلخ. كما أننا لا نجد حديثاً عن الشكل إلا إشارات سريعة كالتي نجدها عند محمد كمال حسن في تعريفه للأدب الإسلامي بأنه الكتابة الخيالية التي تشمل الروايات والقصص القصيرة والشعر والدراما (رحمت/٢٠٠٥). كما أن الأدباء الملايويين –ربما لشدة تدينهم– يفهمون الجمال فهما روحياً فيرونه في الحقيقة والعدالة والتقوى، ويدفعهم هذا، كما لاحظ بعض الباحثين الماليزيين، إلى إيثار المحتوى على الشكل، أو كما يقول عثمان المحمدي "الحقيقة تصنّف فوق الجمال". وإعلان المحمدي عن سيادة الجوانب الأخلاقية على الجوانب الجمالية أصبح، وفقاً لأنكو ميمونة محمد طاهر، إعلاناً ذائع الصيت في الساحة الأدبية (رحمت/٢٠٠٥). وهذا رأي –كما أظن– يحتاج إلى إعادة نظر، لأنه قد يسمح بقبول كتابات فنية دون المستوى الفني المطلوب. فالأدب الإسلامي –كما يقول سيد قطب– "لا يؤثر المضمون بل لا بد له من مقومات الفن، فهو مزاج من عنصرين: التصوير الإسلامي، والمكونات الفنية الجوهرية في تركيبه الداخلي، وطرق أدائه" وحين يعبّر الفن (والأدب بالطبع) –بوسائله التعبيرية الجمالية الخاصة– عن حقيقة العقيدة في ذلك الإطار الواسع، فإنه لا يعمل على رفعة البشرية وإطلاقها من إسار الضرورة والقيد والانحسار في النطاق المحدود فحسب، بل إنه –من الوجهة الفنية البحتة– يكون فنا "كونياً" واسعاً يعبّر عن حقيقة الوجود" (البدوي/١٩٩٢) وهذا ما يأمله الملايويون كما يأمله العرب وغيرهم من المسلمين.

المراجع:

البدوي، أحمد (٩٩٢م)، "سيد قطب"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

بريغش، محمد حسن (١٩٩٢م)، "الأدب الإسلامي: أصوله وسمانه"، دار البشير، عمّان.

راغب، نبيل (٢٠٠٣م)، "موسوعة النظرية الأدبية"، لونجمان، القاهرة.

عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح (١٩٩٧م)، "الأدب الإسلامي للأطفال"، دار الفكر العربي، ١٩٩٧ القاهرة م.

عثمان، رحمت بنت أحمد ويعقوب، عدلي (٢٠٠٨م)، "الإسلام والأدب الملايوي: تحليل للنقاشات في ماليزيا"، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالا لمبور.

عثمان، رحمت بنت أحمد (٢٠٠٥م)، "آفاق الأدب الإسلامي"، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، كوالا لمبور.

قطب، سيد (٢٠٠٥م)، "في التاريخ فكرة ومنهاج"، الطبعة التاسعة، دار الشروق، القاهرة.

قطب، سيد (د.ت.)، "النقد الأدبي: أصوله ومناهجه"، دار الكتب العربية بيروت.

قطب، محمد (١٩٨٠م)، "منهج الفن الإسلامي"، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الشروق، القاهرة.

الكيلاني، نجيب (١٩٨٤م)، "آفاق الأدب الإسلامي"، مؤسسة الرسالة، القاهرة.

Ahmad, Kassim, Ahmad, Shahnon. (1987) Polemik Satera Islam, Kuala Lumpur, Dewan Bahasa Dan Pustaka.

Ahmad, Shahnon. (1981). *Kesusasteraan dan Etika Islam*, Petaling jaya: Fajar Bakti.

Lubis, Haji Muhammad Bukhari. (1997). *Kesusasteraan Islam: Sehimpunan Bahan Rujukan*, Bandar Baru Bangi, Taj Fikriyah Reprints.

Arabs' Concept Of Islamic Literature and Its Impact In The Writings Of Malay Writers

A. K. Abukhudairi
Sultan Sharif Ali Islamic University - Brunei - Darussalam.

Abstract

The call for Islamic literature emerged in the 1950s among the Arab leading writers notably Sayyed Qutb, Abdul Rahman Ra'fat Al- Pasha and Najib Al-Kilany. In the 1960s, influenced by the Arabs, Malay scholars began to study the need of such literature. In the 1990s, they produced several works on Islamic literature including some researches by Baderuddin H. O., Yusuf Zaki Yakoob, Shafie Abu Bakar, Ismail Hamid, Osman Al- Muhammadi, Osman Kelantan and Muhammad Efendi Hassan as desperate attempts to formulate a new critical theory to help in the call for Islamic literature on one hand, and to evaluate the writings of Muslim writers on the other. This paper examines the rise of Islamic literature in the Arab world, and highlight its development in the Malay Archipelago. Furthermore, it traces the impact of Sayyed Qutb, Muhammad Qutb and Ismail Al Faruqi on Malysian writers such as Shahnon Ahmad, Muhammad Kamal Hassan and Muhammad Bukhari Lubis.

Keywords: Mafhum, adab, islami, athat, taathur and nazariah.